كلمة الدكتور عماد الصابوني

في حفل استقبال الدكتور نضال شمعون عضوًا في مجمع اللغة العربية بدمشق

٧ شباط ٢٠٢٤

السيدات والسادة الزملاء الأفاضل، رئيس وأعضاء مجمع اللغة العربية بدمشق،
الزميل العزيز، الدكتور نضال شمعون،
السيدات والسادة الضيوف الأكارم:

يسرّني أن أشارككم اليوم في هذا الحفل، الذي يستقبل فيه مجمعنا، مجمع اللغة العربية بدمشق، عضوًا مجمعيًا جديدًا، هو الزميل الدكتور نضال شمعون.

ويأتي انتخاب الدكتور شمعون عضوًا عاملًا متفقًا مع دأب المجمع، منذ تأسيسه، في أن يجتذب إليه خيرة المختصين، لا في علوم العربية فحسب، بل في مختلف مجالات العلوم؛ يستعين بهم في عمله للارتقاء باللغة العربية وإغنائها، لتكون لغة حية تواكب الحضارة، وتستعمل في جميع مناحي الحياة.

ولن آتي بجديد إذا ما أعدت التذكير بالتحديات العظيمة التي تواجهها لغتنا العربية في هذا العصر؛ بعد أن قلّ من يستطيع التحدث بها بطلاقة ويسر، وأصبحت اللغة المكتوبة ملأى بالأغلاط والأخطاء، حتى في ميدان الأدب. وقد تفرّقت اللغة اليوم بين البلدان العربية، وصعب التفاهم بها فيما بين أبنائها، وسادت في تلك البلدان الازدواجية اللغوية مع طغيان العاميات والدارجات واللهجات المحلية. بل إن البعض قد ذهب إلى ضرورة مأسسة هذه العاميات، لتصبح لغات رسمية مكتوبة، لا محكية فحسب؛ وساعد في ذلك الانتشار الواسع لوسائل التواصل الاجتماعي، وجلّ المحتوى المنشور فيها مدوّن بالعامية، أو في أفضل الأحوال، بلغة ركيكة يختلط فيها العامي بشبه الفصيح، وبألفاظ مأخوذة على عواهنها من لغات أجنبية كالإنكليزية والفرنسية.

بيد أن الصعاب التي تواجهها اللغة العربية اليوم ليست غير مسبوقة. فقد واجهت العربية أيضًا تحديات مماثلة عند انطلاقتها الكبرى في القرن السابع، وإن اختلف الظرف والزمان؛ وكان لزامًا على أبنائها في ذلك الحين اللجوء إلى الترجمة والتعريب، لتمثّل مفاهيم الحضارة والعلم. وسرعان ما نجح رواد الثقافة العربية آنذاك في إغناء لغتهم بالكثير من العبارات والتراكيب المستحدثة. ومع أن النصوص المترجمة الأولى في أواخر القرن السابع كانت –على ما ينقل الرواة– نصوصًا مستغلِقة، معرّبة كما هي في الأصل، مليئة بألفاظ وعبارات

مستعصية على الفهم، فما كاد القرن الثامن ينقضي حتى أخذت العربية بالتحوّل إلى لغة عليمة قادرة على التعبير عن أكثر المعاني تجريدًا، وبسط رؤية كلية عن الطبيعة وما ورائها، تدوّن فيها العلوم العربية الأصيلة، من السِيَر والتفسير والفقه وأصول الفقه والكلام والنحو. أما من يقرأ كتب الخوارزمي مثلًا في الرياضيات في القرن التاسع، والفارابي في الفلسفة والمنطق في القرن العاشر، والحسن بن الهيثم في البصريات في القرن الحادي عشر، وصولًا إلى كتب ابن رشد في الفلسفة والبطروجي في الفلك في القرن الثاني عشر، ثم مقدمة ابن خلدون في القرن الرابع عشر، يجدهم جميعًا يتوفّرون على لغة معرفية رفيعة مرنة، ذات تعبيرية عالية، تُنقل فيها أعقد المفاهيم وأصعبها بمصطلحات مبينة وعبارات سلسة، ما تزال عند قراءتها تمتعنا وتدهشنا، نحن أبناءَ اليوم.

ليس الغرض مما ذكرت التعبير عن لواعج الحنين إلى الماضي أو الانخراط في مسيرة التنويه بمنجزات السلف، كما يفعل كثيرون؛ فنحن أبناءُ هذا العصر، وعلى عاتقنا يقع البحث عن حلول لمشكلات عصرنا. ولكن، كما نجح الأوائل خلال مدة وجيزة في تطويع لغتهم، لغة البداوة الحسية، بلهجاتها وتنويعاتها المختلفة، وتحويلها إلى لغة فكر عالمي، فبمقدورنا النجاح في تجاوز معوّقات الحاضر، وإعادة تكوين لغة عربية قادرة على الاستجابة لمتطلّبات التعبير عن مفاهيم العلم والتقانة.

صحيح أن تحديات الحاضر تختلف اختلافًا جذريًا عن تحديات الماضي؛ فنحن اليوم –ومنذ قرون بعيدة– نهوي في منحدر، في حين كان صانعو الحضارة آنذاك في طور الصعود. لكنّ دروسًا كثيرة يمكن استقاؤها فيما يخصّ اللغة. علينا –كما فعل الأوائل– ألاّ نتردد في تطوير اللغة وتجديدها على صعيد المفردات والتراكيب؛ ويشمل ذلك التوسّع في القياس الصرفي إلى أبعد مدى، واستحداث أبنية صرفية جديدة، وإعطاء الموازين الصرفية دلالات قياسية جديدة... علينا ألاّ نبقي اللغة حبيسة القوالب الجاهزة التي منعتها من التطوّر منذ عصر الانحطاط، لكن من دون المساس بروحها، ومن دون انتهاك خصوصياتها النحوية والصرفية والصوتية.

وكثيرًا ما يشار إلى العولمة بوصفها من أعظم التحديات التي تواجه اللغة، في عصر باتت فيه الإنكليزية وسيلة التفاهم العالمي، وتركت آثارها في جميع ألسنة العالم، وبخاصة من جهة المفردات. لكن للعولمة أيضًا إيجابياتها، فهي تسهّل التواصل، وتُسقط حدود المكان كما تُسقط حواجز المعرفة. ومع عولمة ثورة المعلومات، أضحى استعمال المصطلحات العلمية والتقنية شائعًا مستساغًا بين الناس، حتى غير المختصين منهم.

ومع أن لغة التخاطب اليومي في البلدان العربية أصبحت –من جهة– مثقلة بالمفردات الأجنبية الدخيلة، لدى الأجيال الجديدة على وجه الخصوص، فقد اطّرحت –من جهة أخرى– كثيرًا من مفرداتها العامية المماتة التي حلّت محلّها مفردات وتراكيب مستمدة من روح العصر. وأنا أرى في هذا الواقع فرصة ينبغي اغتنامها: فلغة

الفكر والعلم والتقانة، إذا ما جرى توفيقها، يمكن أن تصبح وسيلة تفاهم وتقارب تسمو فوق العاميات المحلية، وتوحّد بين الناطقين بها في مختلف البلدان.

يتطلّب تحقيق ما سبق أن تعمل مجامع اللغة العربية على أكثر من صعيد:

أولًا، المثابرة على وضع المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة في جميع المجالات، مع تركيز الاهتمام في أوسعها انتشارًا؛ وبذل الجهد الصادق في توحيدها وتنسيقها، وذلك وفق منهجية تتوافق عليها المجامع كافة، وتتضّمن أساليب توليد المفردات الجديدة من اشتقاق ونحت وتعريب، ودلالات الموازين الصرفية.

ثانيًا، وضع قواعد ونواظم ميسرة لكتابة اللغة العربية العلمية والنطق بها، والحرص على استعمالها في التعليم؛ فالتعليم المدرسي، قبل الجامعي، هو الكفيل برسوخ المفردات الجديدة في أذهان النّشء الجديد واستعمالهم إياها في مجاري الحياة.

ثالثًا، وضع سياسة لغوية موحّدة تتضمّن –فيما تتضّمن– التعاطي الواقعي مع العاميات واللهجات العربية، واستعمال اللغة الفصيحة الميسرة في التعليم والإعلام، بغية الحفاظ عليها لغة للعلم والحضارة، وعلى بقائها لغة تواصل موحَّدة وموحِّدة بين أبناء البلدان العربية وسائر الناطقين بها.

ولا غرو في أن يكون للدكتور نضال شمعون، وهو المختصّ الفذّ في العلوم، إسهام كبير مرتقب –مع زملائه المجمعيين– في السعي لوضع ما سبق ذكره في موضع التنفيذ.

❖

أيتها السيدات، أيها السادة:

ليس تقديم الدكتور نضال شمعون تقديمًا مختصرًا بالأمر الهيّن، فمسيرته العلمية حافلة بالإنجازات على مدى العقود الأربعة الماضية، وأي عرض مجتزأ لها سيكون فيه حتمًا انتقاص منها؛ ولكن كان لا بدّ من اختيار أهم تلكم الإنجازات لتقديمها هنا بما يسمح به المقام.

كان نضال شمعون زميلًا لي في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا. لم أعرفه في أيام الدراسة طالبًا، لكنني عرفته بعدها مدرسًا وباحثًا، فكان يتحلى بما يتحلى به العلماء من تواضع وتفانٍ في العمل، وسعي لنقل معارفهم إلى زملائهم وطلابهم.

وُلد نضال شمعون في الخامس من حزيران من سنة ألف وتسعمئة وثمان وستين في دمشق. وبعد أن حاز شهادة الثانوية العامة، انتسب إلى المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا في سنة ألف وتسعمئة وخمس وثمانين، وكان الأوّل على دفعته في الحلقة الدراسية الأولى؛ فأوفد إلى فرنسا ليُتمّ دراسة الهندسة في مدرسة

السنترال École Centrale، وهي من كبريات مدارس الهندسة العليا؛ ونال الإجازة في الهندسة في شهر تموز من سنة ألف وتسعمئة وإحدى وتسعين، ثم دبلوم الدراسات المعمّقة في الإلكترونيات من جامعة باريس السادسة (التي أصبحت اليوم جزءًا من جامعة السوربون الشهيرة) في شهر أيلول من السنة نفسها.

تابع نضال شمعون دراسته الجامعية بعد ذلك في بريطانيا في مجالات الرياضيات والفيزياء النظرية. فحاز في شهر آب من سنة ألف وتسعمئة وثلاث وتسعين شهادة الماجستير في الرياضيات بدرجة امتياز من كلية ترينيتي هول Trinity Hall في جامعة كمبريدج Cambridge العريقة؛ ثم أخذ في تحضير رسالة الدكتوراة في الفيزياء النظرية في كلية وولفسن Wolfson في جامعة أكسفورد Oxford العريقة، فنال هذه الشهادة في شهر تشرين الثاني من سنة ألف وتسعمئة وست وتسعين. وكان عنوان رسالة الدكتوراة التي أعدّها "قواعد التجميع في الكروموديناميكا الكمومية وتطبيقاتها في التبعثر العميق اللامرن"، وكانت بإشراف الأستاذ غراهام روس Graham Ross، الحائز على ميدالية ديراك Dirac العالميّة.

عاد الدكتور نضال شمعون إلى سورية في كانون الأول من سنة ألف وتسعمئة وست وتسعين، ليعمل مدرّسًا وباحثًا في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، الذي رُقّي فيه إلى مرتبة مدير بحوث (المكافئة لمرتبة الأستاذ في الجامعات السورية) في نيسان من سنة ألفين وأربع عشرة. ومنذ عودته إلى سورية إلى اليوم، تولّى الدكتور شمعون أعمالًا علمية وإدارية متنوعة، فدرّس في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا وفي جامعة دمشق وفي الجامعة الافتراضية السورية مقرّرات في الرياضيات والفيزياء والهندسة، وأشرف على عدة رسائل ماجستير ودكتوراة؛ وأسّس في سنة ألفين وخمس مجموعة الدراسات النظرية والنوويّة في قسم الفيزياء في المعهد العالي للعلوم التطبيقية والتكنولوجيا، التي يرأسها منذئذ. ولم ينقطع الدكتور شمعون عن البحث العلمي، إذ واظب على التعاون مع مراكز بحثية في الخارج لإجراء البحوث في مجال فيزياء الجسيمات، والنظرية النسبية، وعلوم الكون، والفيزياء الرياضية.

نشر الدكتور نضال شمعون ما يربو على أربعين نشرة ومقالة في مجّلات علمية مرموقة، مثل Physics Letters (رسائل الفيزياء) و Nuclear Physics (الفيزياء النووية) التابعتين لدار النشر الهولندية المرموقة Elsevier، ومثل Physical Review (عروض الفيزياء)، مجلّة الجمعية الأمريكية الفيزيائيّة، التي شارك فيها وحده في كتابة ست عشرة ورقة علميّة من مجموع عشرين ورقة نُشرت في أعدادها لمؤلّفين يعملون في مؤسّسات أكاديميّة سوريّة، وذلك منذ تأسيس هذه الجمعية في القرن التاسع عشر. وألّف الدكتور شمعون عدّة كتب وأمليات في مجالات اختصاصه لجامعة دمشق وللمعهد العالي للعلوم التطبيقيّة والتكنولوجيا؛ وترجم إلى اللغة العربية ثمانية كتب عن الإنكليزية والفرنسية، في مجالات الفيزياء الكمومية، والنسبية، وعلوم الكون؛ وقام أيضًا بترجمة ومراجعة مقالات علمية كثيرة لمجلة العلوم، النسخة العربية من مجلة Scientific American.

والدكتور شمعون عضو في إدارة تحرير عدد من المجلاّت العلميّة، مثل مجلة Letters in High Energy Physics (رسائل في فيزياء الطاقة العالية) التابعة لدار النشر Andromeda في بريطانيا؛ وهو أيضًا مُحكِّم ومُراجِع في مجلات علمية دولية أخرى مثل Scientific Reports (التقارير العلمية) الصادرة عن دار Springer–Nature في ألمانيا.

حصل الدكتور نضال شمعون، قبل حيازته شهادة الدكتوراة وبعدها، على عدد من المنح البحثية العالمية، وقام في فصول الصيف، بصفة أستاذ زائر، بعدد من المهام العلمية، منها إلى: جامعة لابلاتا La Plata في الأرجنتين (١٩٩٩، ٢٠٠٠، ٢٠٠٤)؛ ومعهد الفيزياء النظرية في الأكاديمية الصينية للعلوم (٢٠٠١، ٢٠١٧، ٢٠١٨)؛ والمركز الدولي للفيزياء النظرية في تريستا Trieste، إيطاليا (٢٠٠٣، ٢٠٠٥، ٢٠٠٧، ٢٠٠٨، ٢٠٢٢)؛ والمرصد الوطني الفلكي في الأكاديمية الصينية للعلوم (٢٠٠٦)؛ والمركز البرازيلي للفيزياء الأساسية في ريو دي جانيرو Rio de Janeiro، البرازيل (٢٠٠٩)؛ ومعهد الفيزياء في جامعة بون Bonn، ألمانيا (٢٠١١–٢٠١٥، ٢٠١٩، ٢٠٢٣).

وحاز الدكتور شمعون بفضل أعماله عددًا من الجوائز، منها: جائزة من كلية ترينيتي هول Trinity Hall على نتيجة الامتياز في امتحانات Tripos (١٩٩٣)، وهي امتحانات الرياضيات العريقة في جامعة كمبريدج Cambridge؛ وجائزة للدراسات العليا من كلية وولفسن Wolfson في جامعة أكسفورد Oxford (١٩٩٤–١٩٩٦)؛ ثم جائزة عبد السلام للباحثين الشباب في سورية (٢٠٠٥)، ووثيقة تقدير الإنتاج العلمي من مؤسسة عبد الحميد شومان في الأردن (٢٠١٣). وحصل الدكتور شمعون أيضًا على عدد من المنح المرموقة، مثل منحة Junior & Senior Associate (العضو المشارك) من المركز الدولي للفيزياء النظرية في إيطاليا (٢٠٠٢–٢٠٠٨، ٢٠١٦–٢٠٢٢)، ومنحة PIFI (مبادرة رئيس الأكاديميّة الصينيّة) من الأكاديميّة الصينيّة للعلوم (٢٠١٧، ٢٠٢٢)، ومنحة Experienced Researcher (الباحث المتقدّم) من مؤسّسة Humboldt الألمانية، التي تخوّله زيارة معهد بيتي Bethe للفيزياء النظريّة في جامعة بون، ألمانيا، بصفة أستاذ زائر منذ سنة ألفين وإحدى عشرة.

والدكتور نضال شمعون عضو مؤسس في مجلس إدارة الجمعية العربية للفيزياء، ومنسّق مجموعة فيزياء الطاقات العالية فيها؛ وهو أيضّا عضو في مجلس أمناء جامعة إنطاكية السورية الخاصة.

وإلى جانب النشاط الأكاديمي والبحثي المتميّز، يهتم الدكتور شمعون أيضًا بالموسيقى، فقد حصل على دبلوم المعهد العربي للموسيقى في دمشق (١٩٨٧)، وعلى دبلوم "إنهاء الدراسة" من تجمّع معاهد Hauts–de–

Seine (أعالي السِن) في فرنسا (١٩٩٠) للعزف على البيانو. ويعزف الدكتور شمعون أيضًا على الفلوت، والأرغن الأنبوبي Pipe Organ الكنسي.

يتحدث الدكتور شمعون اللغتين العربية والصينية لغتين أمّ، فوالده أوّل سوري يدرس في الصين، حيث التقى والدته، فكانت أوّل مواطنة صينيّة الأصل تقيم في سورية منذ سنة ألف وتسعمئة وثلاث وستين؛ وهو يتحدث لغات أخرى عديدة، إذ يتقن الفرنسية والإنكليزية والإسبانية والإيطاليّة، ويُلمّ بالسريانية والروسية والألمانية والبرتغالية.

❖

السيدات والسادة:

ليس الدكتور نضال شمعون بغريب عن مجمعنا، فقد كان منذ سنة ألفين وخمس عشرة –وما يزال– عضوًا خبيرًا في لجنة مصطلحات العلوم الفيزيائية؛ وقد كان دعاه إلى هذه اللجنة المرحوم الأستاذ الدكتور عبد الله واثق شهيد، أمين المجمع السابق، الذي كان المشرف العلمي المحلّي على دراسته في مرحلة الدكتوراة. وكُلّف الدكتور شمعون في المجمع في سنة ألفين وثلاث وعشرين بمراجعة معجم مصطلحات الفيزياء مراجعة شاملة. وقد أعجب الدكتور مكي الحسني، الذي يرأس الآن لجنة مصطلحات العلوم الفيزيائية، بغزارة علم الدكتور شمعون، وتمكّنه من اللغة العربية، وبخاصة العلمية، فرشّحه لعضوية المجمع، فنال بالتصويت قرابة إجماع أعضاء المجلس في الجلسة المنعقدة في ٢٠٢٣/٩/٢٠، وصدر باعتماد انتخابه المرسوم ذي الرقم /٢٧٦/ في ٢٠٢٣/١١/٥، فهنيئًا له الثقة العظيمة.

هذا العرض الموجز لسيرة الدكتور نضال شمعون العلمية يظهر بجلاء أنه عالم يعدّ من أبرز علماء الفيزياء العرب المعاصرين؛ ومن حقّ بلده أن تفخر به وبأعماله. وقد قيل فيه ذات مرة: "يُشهد له أنه ابن بارّ بوالديه وأساتذته، لم يغرّه بهرج الغرب، بل آثر البقاء في الوطن محاولًا –مع زملائه– بناء مدرسة قوية في الفيزياء".

يسرني ثانية أن أرحب باسمكم جميعًا بالزميل الدكتور نضال شمعون عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية بدمشق، خلفًا للراحل الدكتور موفق دعبول. وأنا على يقين من أن خبرته العلمية الكبيرة، وثقافته الواسعة، إضافة إلى مناقبه وأخلاقه الشخصية الرفيعة التي يعلمها عنه عارفوه، ستمكّنه من أداء دوره المعوّل عليه في الإسهام في خدمة اللغة العربية، والدفع بها قدمًا لتكون لغة للعلم والثقافة والحضارة في عالمنا المعاصر.

❖❖❖